المحاضرة السادسة:

مـدرســة كوبنـهـاغــن

أولا: التعريف بالمدرسة

يُطلَق مصطلح **جلوسيماتية (La Glossématique)** على النظرية اللسانية التي طوَّرها اللساني الدانمركي لويس يلمسليف (Louis Hjelmslev) (1899-1965م)، وقد سمّيت بهذا الاسم بناء على الجذر اليوناني للسان (Glossa) ليؤكِّد مؤسساها على أصالة نظريتهما ومن أجل رسم حدود بينها وبين النظريات اللسانية الأخرى. وتسمّى كذلك مدرسة كوبنهاغن نسبة إلى هذه المدينة.

إن أهم ما تتميّز به هذه النظرية هو **تأكيدها القاطع على استقلال التحليل اللغوي** عن المجالات الأخرى غير اللغوية، ومن ثم فإن تركيب اللغة لا يتحدّد من معطيات خارج مجال اللغة أو يقوم على أسس بعيدة عن الظواهر اللغوية.

ثانيا: علاقتها بلسانيات سوسير

تعدُّ النظرية الجلوسيماتية، من الناحية التاريخية، " **امتدادا مستمرا ومتشدِّدا في الوقت نفسه** " لأفكار دي سوسير البنيوية؛ إذ إنها نشأت بعد حلقة لسانيي براغ سنة 1934م، وكانت تعدّ في البداية اتجاها بديلا داخل الفونولوجيا. وهذا ما ظهر في العمل الذي طرحه اللسانيان الدانمركيان يلمسليف وهانز يورجن أولدال (H.J.Uldall) تحت عنوان **علم الوحدات الصوتية** (الفونيمية Phonématique) في المؤتمر الدولي الثاني لعلماء الأصوات في لندن سنة 1935م.

إن **اللغة** عند دي سوسير تقابل **النظام** في الجلوسيماتية، أمّا **الكلام** فيقابل **العمليات اللسانية المنجزة أو سير الكلام**، وبعبارة أخرى تقابل ثنائية **اللغة والكلام** (عند سوسير) ثنائية **النظام والنص** (في الجلوسيماتية)، وليس النص – عندهم – سوى **تركيب للعناصر الشكلية أو تركيب شكلي من عناصر متعدِّدة، تتحقَّق في جوهر ما ينتمي إلى جانب الكلام.**

ثالثا: الأسس اللسانية للمدرسة

لقد انطلق يلمسليف – في بناء نظريته – من حقيقتين سوسيريتين جوهريتين هما:

1- اللغة ليست **مادة** بل إنها **شكل**؛ فقد أشار دي سوسير إلى دور **الأصوات** في تمثيل **الماهيات السيكولوجية** خلال عملية التفاهم المتبادل، وقد جارى سوسير في هذا التقسيم حين " فحص **الأصوات** دوما على اعتبار أنها **هيئات مجرَّدة (جانب الشكل)**، على حين أهمل إهمالا تاما مظهرها **المادي المحسوس(المادة)** ". فالشكل عنده له مستويان، " أحدهما: خاص **بالتعبير** وهو **الفونيم** عنده، وثانيهما: خاص **بالمضمون**، وهو **الأجزاء التي يتكوّن منها المعنى** ".

2- **تباين اللغات** فيما بينها من حيث **المستوى التعبيري** (expression) **والمحتوى** (le contenu).

فكل لغة تتكوَّن من هذين المستويين: **التعبير والمحتوى**، حسب يلمسليف؛ حيث استبدل الدال (عند سوسير) **بالتعبير**، والمدلول (عند سوسير) **بالمحتوى**، **فالدليل اللغوي يتكوّن من تعبير يدلّ على**

محتوى. وهذا يعني أن اللغة **مجموعة أدلَّة ذات مظهرين: مظهر صوتي، وآخر دلالي**. يتكوَّن **المستوى التعبيري** من **الأصوات المنتقاة لأجل إيصال الأفكار**، أي إنَّـــــــه **المستوى الخارجي للغة** المشترك بين الألسن. وأما **مستوى المحتوى** فيضمُّ **الأفكار الموجودة في اللغة.**

رابعا: طبيعة اللغة عند هيلمسليف

لقد استطاع الاتجاه البنيوي على المستوى الشكلي تحليل الألفاظ إلى **أصغر الوحدات غير الدالة وغير القابلة للتقطيع** (الفونيمات). وعلى المستوى الدلالي(المحتوى) تجزيء الوحدات **إلى أصغر القطع** التي **لا يمكن تحليلها** والتي سمّاها يلمسليف (Hjelmslev) **بالسمات المعنوية أو الرموز.**

وفيما يلي المخطَّط الآتي يوضِّح طبيعة اللّغة عند يلمسليف:

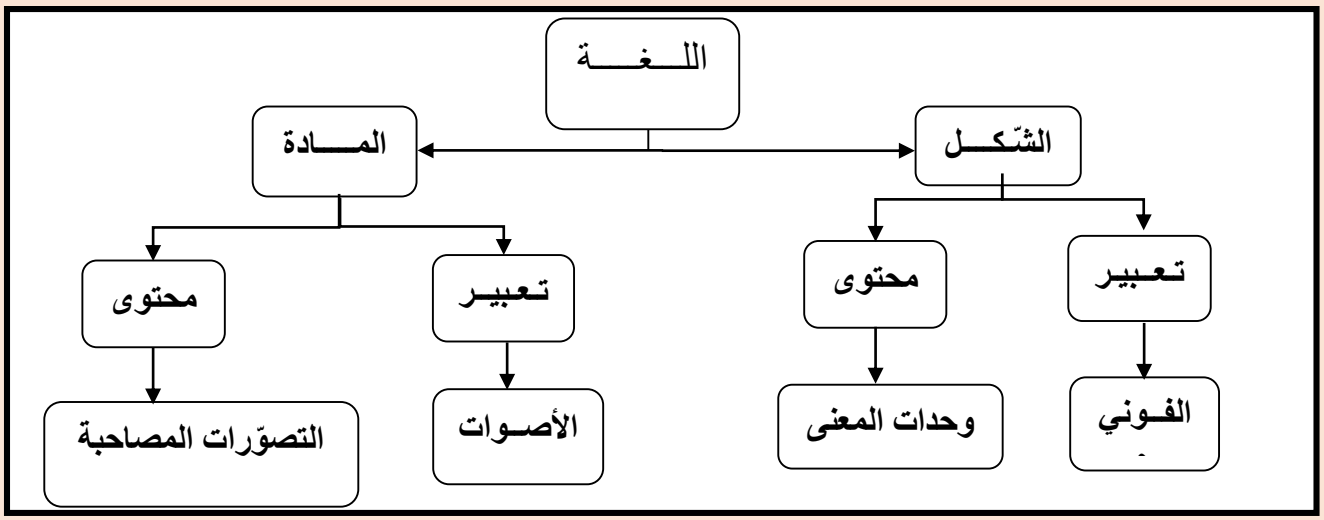

وبالعودة إلى نظرية السمات المعنوية، فهي تعدُّ أحسن مثال لإيمان اللغويين بإمكانية تنظيم المستوى الدلالي في اللغات البشرية وأكبر ممثل لهذه النزعة هو اللغوي يلمسليف، فقد انطلق من الفكرة التي تؤمن بوجود توازن مطلق بين مستوى اللفظ ومستوى المعنى في اللغة (التعبير والمحتوى عند يلمسليف) فمثلما حلّل اللغويون المستوى اللفظي إلى قطع صغيرة دنيا يستطيعون تحليل المستوى الدلالي إلى أن يصلوا إلى أصغر القطع التي لا يمكن تحليلها وتقطيعها، وهي التي سمّاها يلمسليف السمات المعنوية.

لقد فرَّق يلمسليف في إطار المستويين (التعبيري والمحتوى) بين **المادة والشكل**، وركَّز اهتمامه على **الجانب الشكلي للمحتوى والتعبير**، مهملا المادة، أي الأصوات، مادامت لا تحدِّد النظام اللغوي " فمن الممكن أن تتغيَّر المادة اللغوية من دون أن يكون لهذا التغيّر بأي شكل من الأشكال أثر في التنظيم اللغوي". وهذا ما هو مبيّن في المثالين الآتيين (في الجدول):

المثال الأوّل: كلمة فرس			
التعبير		المحتوى	
المادة	الشَّكل	الشَّكل	المادة
الدال اللفظي الأصوات في ماهيتها المشخّصة الفيزيولوجية والفيزيائية.	ف-ر-س: الحروف المؤلِّفة لهذه الكلمة كما تواضعت عليها الجماعة اللغوية.	" فرس" المدلول من ثدييات خيل، حصان	الفرس الحيوان الموجود في الطبيعة.
المثال الثّاني: كلمة رجل			
الدال اللفظي الأصوات في ماهيتها المشخّصة كمادة فيزيولوجية وفيزيائية.	ر-ج-ل أي الحروف المؤلِّفة لهذه الكلمة، كما تواضعت عليها الجماعة اللغوية	" رجل " المدلول حيوان ناطق، مفكِّر له روح وهو ما نتحدَّث عنه.	رجل: الجنس الإنساني المقابل للمرأة.

ومن هنا فإن **الدليل اللغوي** عند يلمسليف، هو ما تضمَّن إشارة إلى: **شكل التعبير وشكل المحتوى**. وهو بذلك **وسَّع مفهوم الدليل اللغوي لسوسير**؛ إذ نظر إلى اللغة على أنها شكل لا مادة، مبعدا الجوانب الصوتية والدلالية الأخرى عن مجال الدراسات اللسانية كما هو موضَّح في الجدول الآتي:

المادة	الشَّكل	الشَّكل	المادة
غير لغوي (دراسة صوتية)	الدَّال الفونيمات	المدلول السِّمات أو وحدات المعنى	غير لغوي (دراسة دلالية)
	دراسة لسانية: وهي الدراسة التي تهتم بها النظرية الجلوسيماتية(La Glossématique) التي ترجمت إلى نظرية السِّمات المعنوية أو نحو العلاقات.		
التعبير		**المحتوى**	

خامسا: منهج يلمسليف في التحليل اللساني:

يمكن وصف المنهج بأنه استنتاجي تحليلي، حيث تقسّم كل وحدة إلى وحداتها الصغرى التي تتكوّن منها، ومن ثم يحصل في كل درجة من درجات الاستنتاج أولا على وحدات صغيرة وتقل ثانيا الموجودات أو القوائم الجدولية (على المحور العمودي).

إن تحليل **المستوى التعبيري** ينتج:

1- نصوصا كثيرة لا نهاية لها.

2- جملا كثيرة غير محدودة.

3- أجزاء من جمل غير محدودة.

4- كلمات كثيرة لا نهاية لها، وإن كانت محدودة في قوائم القواميس والمعاجم إلا أنها كلمات كثيرة غير محدودة من الناحية النظرية.

وفي مستوى تحليل المضمون يمكننا استبعاد بعض الوحدات اللغوية من التحليل لأنها تتّضح من خلال ارتباطها بوحدات لغوية أخرى، فمثلا لو أنتج تحليل المضمون لثروة الكلمات في لغة ما بالوحدات التالية:

كبش نعجة

ولد بنت

حصان فرس

خروف

طفل

هو.....هي.

فإنه يمكننا حينئذ استبعاد الوحدات اللغوية في الأسطر الثلاثة الأولى، لأنها تتضح ارتباطيا من خلال علاقتها بوحدات أخرى وهي الوحدات التي جاءت في الأسطر التالية، وهنا ينبغي أن نشير إلى أن صاحب النظرية يتعامل مع **محتويات الكلمات** دون اهتمام بالكلمات ذاتها، أما طريقة الارتباط هذه فهي أن الكبش هو خروف، بنت = هي طفل، فرس هي حصان.

ولا تعني الصور الأدلة اللسانية، بل إن تركيب الصور بجانبيها **(التعبير والمضمون)** ينتج الأدلة، أما الوحدات الصغيرة سواء في الجانب التعبيري وهي العلامات الفونولوجية تعامل على أنها صفات للفونيمات أو في جانب المضمون، وإن لم توجد لها علامات دلالية صغيرة يمكن تناولها فإنها تسمى عنده **جلوسيم** أو **غلوسيم (Glossèmes)**.

سادسا: النقد الموجَّه إلى نظرية يلمسليف:

- تعدّ نظرية يلمسليف – حسب فيرث – نظرية مجرّدة، إنها **نظرية منطقية رياضية**، وصاحبها قد غالى في المبادئ التي نادى بها دي سوسير تخريجا وتأويلا واستنباطا وتطبيقا، مغالاة لا توحي بها كتابات دي سوسير.
- لم تطبّق هذه النظرية حتى الآن تطبيقا كاملا على لغة من اللغات بما فيها اللغة الدانمركية، لغة يلمسليف. لذا تعدّ هذه النظرية من **الرياضيات الخالصة**.
- لطريقة تحليل **المدلولات اللغوية** – عند يلمسليف – فوائد ومزايا كثيرة إلا أنَّه وأتباعه لم يخصّصوا لها دراسة مستفيضة، واكتفوا بإشارات حول التعمّق فيها. وأغلب أمثلتهم من الميادين المعجمية المنظّمة المغلقة والتي يَسهُل تطبيق هذه النظرية عليها **كأسماء النباتات والحيوانات** أو **تصوير العلاقات العائلية الاجتماعية**.

ورغم هذا النقد الموجَّه إلى هذه النظرية إلا أنَّها تعدُّ **نظرية بارعة** في عمومها وشمولها ومداها.